

261454 - في تحرير وقت نزول أوائل سورة الروم ، وبحث الروايات المتعارضة ظاهرا في ذلك

السؤال

أخرج الترمذي في سننه روايتين ظاهرهما التعارض حيث تشير الرواية إلى أن سورة الروم نزلت بمكة ، وفي الرواية الأخرى أنها نزلت بعد غزوة بدر، فكيف التوفيق بينهما؟ الرواية الأولى هي من رواية أبو سعيد الحديث رقم : (3186) ، والرواية الثانية من طريق سعيد بن جبير حديث رقم : (3497) .

ملخص الإجابة

ملخص الجواب :

الرواية الصحيحة هي الواردة بإثبات نزول سورة الروم في العهد المكي ، والرواية الأخرى التي تفيد نزولها بالعهد المدني لا تصح ، وسورة الروم مكية باتفاق أهل العلم .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

قبل الجواب على السؤال ينبغي التنبيه على أن بعض الآيات قد تنزل مرة واحدة ، وبعض الآيات قد تنزل مرتين أو أكثر ، أي يتكرر نزولها ، وفي ذلك يقول الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" (1/29) : "وقد ينزل الشيء مرتين ، تعظيما لشأنه ، وتذكيرا به عند حدوث سببه ؛ خوف نسيانه". انتهى .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (13/340) : "وَإِذَا ذَكَرَ أَحَدُهُمْ لَهَا سَبَبًا نَزَلَتْ لِأَجْلِهِ ، وَذَكَرَ الْآخَرُ سَبَبًا ؛ فَقَدْ يُمَكِّنُ صِدْقَهُمَا ، بِأَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ عَقِبَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ ، أَوْ تَكُونَ نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ ، مَرَّةً لِهَذَا السَّبَبِ وَمَرَّةً لِهَذَا السَّبَبِ". انتهى

وبناء على ذلك : فإذا وردت الآثار بأسباب مختلفة لنزول آية واحدة ، فعلينا أن نبحث أولا عن صحة السند ، فإن صح السند فهنا احتمالان :

الأول : تكرر النزول .

الثاني : أن يكون قول الصحابي عن الآية : نزلت في كذا ، يكون معناه : أن الآية تتضمن هذا الحكم .

قال الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" (1/31) :

وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين ، أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا ، فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم ، لا أن هذا كان السبب في نزولها .

وجماعة من المحدثين : يجعلون هذا من المرفوع المسند ، كما في قول ابن عمر في قوله تعالى **نَسَاوُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ**.

وأما الإمام أحمد : فلم يدخله في المسند ، وكذلك مسلم وغيره ؛ وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل ؛ فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية ، لا من جنس النقل لما وقع . انتهى . وهذا الأمر يعرف بالقرائن ، وجمع الروايات والآثار .

ثانيا :

أما بالنسبة للنقطة محل السؤال ، وهي ما ورد بشأن نزول أوائل سورة الروم في قوله تعالى : (الم (1) **غُلِبَتِ الرُّومُ** (2) في **أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** (3) في **بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ** (4) **بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** (5) . الروم/1 - 5 .

فقد ذكر السائل أنه قد ورد فيها روايتان متعارضتان ظاهرا : الأولى أنها نزلت بمكة والثانية أنها نزلت بالمدينة ، فما هو الصحيح من ذلك ؟

والجواب على ذلك : أن الصحيح أن سورة الروم مكية ، وأن هذه الآيات نزلت بمكة وليست بالمدينة ، وبيان ذلك كما يلي :

أولا : تخريج الروايتين :

الأولى : أخرجه الترمذي في "سننه" (2935) ، والطبري في "تفسيره" (18/457) ، والواحدي في "أسباب النزول" (ص344) ، جميعا من طريق سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَنَزَلَتْ **الْمُ غُلِبَتِ الرُّومُ** ، إِلَى قَوْلِهِ: **يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ** قَالَ: فَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ بِظُهُورِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ.

وهذه الرواية ضعيفة لا تصح ، لأجل عطية بن سعد العوفي ، وبيان ذلك من وجوه :

أنه ضعيف باتفاق ، قال الذهبي في "ديوان الضعفاء" (2843) : "مجمع على ضعفه" . انتهى أنه مدلس ، قال ابن حجر في "التقريب" (4616) : "وكان شيعيا مدلسا" . انتهى ، وقد عنعن الحديث عن شيخه ، فلا تقبل روايته إلا إذا صرح بالتحديث . أن روايته هنا عن أبي سعيد ، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن عطية العوفي كان يدلس اسم الكلبي إذا روى عنه في التفسير فيقول : قال أبو سعيد ، ويقصد به الكلبي ، قال الإمام أحمد كما في العلل (1/548) : "بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير ، وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول قال أبو سعيد" . انتهى ، وقال الثوري : سمعت الكلبي قال كنانة عطية أبا سعيد .

كذا في "العلل ومعرفة الرجال" للإمام أحمد (1307) ، وقال ابن حبان في "المجروحين" (2/176) : "سمع من أبي سعيد الخُدريّ أحاديث ، فلمّا مات أبو سعيد ، جعل يُجالس الكلبيّ ويحضر قصصه ، فإذا قال الكلبيّ : قال رسول الله بكذا ، فيحفظه ، وكناه أبا سعيد ، ويروي عنه . فإذا قيل له من حدّثك بهذا ؟ فيقول : حدّثني أبو سعيد . فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخُدريّ ، وإنّما أراد به الكلبيّ ، فلا يحل الاحتجاج به ، ولا كتابة حديثه إلّا على جهة التعجب " . انتهى . والكلبي هذا هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، وهو كذاب ، قال أحمد بن هارون سألت أحمد بن حنبل عن تفسير الكلبي فقال : كذب . قلت : يحل النظر فيه ؟ قال : لا . كذا في "المجروحين" لابن حبان (2/254).

ولذا فهذه الرواية واهية ، لا تقوم بها حجة . قال المباركفوري في "تحفة الأحوذى" (8/207) تعليقا على هذه الرواية : "وفي عطية ثلاثة أشياء الأول أنه مدلس ، والثاني أنه عند أكثر الأئمة ضعيف ، والثالث أنه كان يأخذ التفسير عن الكلبي ويكتبه بأبي سعيد ، فيقول عن أبي سعيد ، يوهّم أنه أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه ، فحديثه هذا ضعيف غير مقبول ، وفي قول الترمذيّ هذا حديث حسن نظر " . انتهى

الثانية : أخرجها الترمذي في "سننه" (3093) ، وأحمد في "المسند" (2495) ، والنسائي في "السنن الكبرى" (11325) ، جميعا من طريق سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قول الله تعالى : **الم غلبت الروم في أدنى الأرض [الروم: 2]** قال: غلبت وغلبت ، كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان ، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، فذكروهم لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أما إنهم سيغلبون" ، فذكره أبو بكر لهم ، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلا ، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا ، فجعل أجلا خمس سنين ، فلم يظهرُوا ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال: "ألا جعلته إلى دون" - قال: أراه العشر ، قال سعيد: والبضع ما دون العشر - قال: ثم ظهرت الروم بعد . قال: فذلك قوله تعالى : **الم غلبت الروم [الروم: 1]** - إلى قوله - **يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء [الروم: 4]** قال سفيان: «سمعت أنهم ظهرُوا عليهم يوم بدر» .

وهذا الحديث صحيح ، وقد صححه الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة" (7/365) في أثناء تخريجه لحديث برقم (3354)

فتبين بذلك أن الصحيح من الناحية الحديثية أن نزول سورة الروم كان بمكة ، وليس بالمدينة .

ثانيا : اتفق المفسرون على أن سورة الروم مكية ، حيث قال القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (14/1) : "سورة الروم مكية كلها من غير خلاف" . انتهى .

وقال ابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز" (4/327) : "هذه السورة مكية ، ولا خلاف أحفظه في ذلك" . انتهى .

وقال ابن الجوزي في "زاد المسير" (3/415) : "وهي مكية كلها بإجماعهم" . انتهى .

فتبين بذلك أن اتفاق المفسرين على كونها مكية : دليل على عدم التفاتهم للرواية التي تقول إنها نزلت بالمدينة بعد غزوة بدر ، ولذا علق الطاهر بن عاشور على تلك الرواية فقال في "التحرير والتنوير" (12/39) : "وهي مكية كلها بالاتفاق ، حكاها ابن عطية والقرطبي ، ولم يذكرها صاحب (الإتقان) في السور المختلف في مكيتها ، ولا في بعض آياتها . وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري : أن هذه السورة نزلت يوم بدر فتكون عنده مدنية . قال أبو سعيد : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين وفرحوا بذلك فنزلت (أَلَمْ غَلَبْتَ الرُّومَ) (إلى قوله) بِنَصْرِ اللَّهِ ((الروم : 1 5) وكان يقرؤها (غَلَبْتَ) بفتح اللام) ، وهذا قول لم يتابعه أحد . انتهى .

وقد تبين من التخريج السابق : أن هذا القول : لم يصح عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه.

ثالثا : أن هذه الرواية التي ذكرها السائل والتي تفيد بنزول سورة الروم بالمدينة ، جاء فيها القراءة على هذا النحو " : الم (1) غَلَبْتَ الرُّومُ (2) . هكذا بفتح الغين ، قال الترمذي بعد روايته الحديث : " هَكَذَا قَرَأَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ : غَلَبْتَ " . انتهى .

وهذه القراءة شاذة ، خلاف إجماع القراء ، حيث قال الطبري في "تفسيره" (18/446) : "وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا الَّذِي لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ الْم. غَلَبْتَ الرُّومُ [الروم: 1] بِضَمِّ الْغَيْنِ ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَاءَةِ عَلَيْهِ " . انتهى .

وإذا تبين شذوذها قراءةً ، فهي كذلك مخالفة في المعنى لأن قوله تعالى : "وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ" . قرأ القراء جميعا " سَيَغْلِبُونَ " بفتح السين والياء ، وهكذا يكون المعنى غَلَبْتَ الروم فارس وهم من بعد غلبهم لفارس سَيَغْلِبُونَ ، فهكذا يكون المعنى فاسدا ، وإنما حتى يصح المعنى لابد من أن تقرأ الكلمة هكذا " سَيَغْلِبُونَ " ولا أحد يقرأ بهذا ، ولذا قال الطبري في "تفسيره" (18/459) : "وَأَمَّا قَوْلُهُ: سَيَغْلِبُونَ [الروم: 3] فَإِنَّ الْقُرَاءَةَ أَجْمَعِينَ عَلَى فَتْحِ الْيَاءِ فِيهَا ، وَالْوَاجِبُ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: (الم غَلَبْتَ الرُّومُ) بِفَتْحِ الْغَيْنِ ، أَنْ يَقْرَأَ قَوْلُهُ: (سَيَغْلِبُونَ) بِضَمِّ الْيَاءِ ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبَتِهِمْ فَارِسَ سَيَغْلِبُهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، حَتَّى يَصِحَّ مَعْنَى الْكَلَامِ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِلْكَلامِ كَبِيرُ مَعْنَى إِنْ فُتِحَتِ الْيَاءُ ، لِأَنَّ الْخَبَرَ عَمَّا قَدْ كَانَ ، يَصِيرُ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ أَنَّهُ سَيَكُونُ ، وَذَلِكَ إِفْسَادُ أَحَدِ الْخَبَرَيْنِ بِالْآخِرِ " . انتهى

رابعا : أن حدوث نصر الروم في يوم بدر لا يلزم منه نزول السورة ، بل لزاما أن يسبق نزول السورة على موعد نصر الروم ، فيكون المعنى أن فارس غلبت الروم ، وفي بضع سنين سيغلب الروم فارس ، وحينئذ يفرح المؤمنون ، فكيف تنزل آيات الإعلام بالهزيمة والبشارة بالنصر ، يوم النصر ؟!

خامسا : أن تاريخ انتصار الروم على فارس مختلف فيه أصلا على ثلاثة أقوال ، قال الماوردي في "النكت والعيون" (4/298) : "واختلف في السنة التي غلبت الروم أهل فارس على ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها عام بدر ظهر الروم على فارس فيه ، وظهر المسلمون على قريش فيه ، قاله أبو سعيد ، قال: فكان يوم بدر.

الثاني: أن ظهور فارس على الروم كان قبل الهجرة بسنتين ، وظهر المسلمين على قريش كان في عام بدر بعد الهجرة بسنتين

، ولعله قول عكرمة.

الثالث: عام الحديبية ظهرت الروم على فارس ، وكان ظهور المسلمين على المشركين في الفتح بعد مدة الحديبية ، قاله عبيد الله بن عبد الله . انتهى .

والذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح" (1/278) أنه يوم الحديبية ، حيث قال : " وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْخَبَرَ جَاءَ بِظُهُورِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذَهَبَ آخَرُونَ أَنَّهُ يَوْمُ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ " . انتهى

وخلاصة ما سبق : أن الرواية الصحيحة هي الواردة بإثبات نزول سورة الروم في العهد المكي ، وأن الرواية الأخرى التي تفيد نزولها بالعهد المدني لا تصح ، وأن سورة الروم مكية باتفاق أهل العلم .

والله أعلم .